

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة التاسعة والثمانون

مالك بن أنس (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتي من فتيان الإسلام ، الذي ساد في العلم صغيراً ، فبرع وأفقى ولم يتجاوز سن الحادية والعشرين ، إنه الإمام مالك بن أنس.

هذا الإمام الجليل الذي اشتهر بالعمل وبرع في التقوى والورع ونفع الله الناس بعلمه زمناً طويلاً ، وما زال الناس ينتفعون من علم هذا الإمام في فنون كثيرة من فنون العلم، ولعل من أبرز ما انتفع الناس فيه من علم هذا الفتي هو أقواله في السنة (رحمه الله)، فأقواله ما يزال يرددها أهل السنة من بعده .

فمن ذلك حثه (رحمه الله) على الأخذ بالكتاب والسنة ، وأقوال سلف هذه الأمة، والتحذير من المبتدعة أهل الزيغ والضلال ، فعن مطرف بن عبد الله قال : سمعت مالكا يقول سن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين، ن وولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً .

وكان (رحمه الله) شديد الحذر من أهل الأهواء والبدع ، وموقفه منهم موقف العالم الحازم ، فلا يسمع لباطلهم ، ولا يجاريهم بحدلهم ، بل يرميهم بالحق ، ويرد باطلهم في

نحورهم ، فعن أبي ثور قال :سمعت الشافعي يقول: كان مالك إذا جاءه بعض أهل الأهواء، قال: أما إني على بينة من ديني، وأما أنت فشاك اذهب إلى شاك مثلك فخاصمته.

وما أحسن قوله (رحمه الله) في جواب ذلك السائل الذي سأله عن الاستواء ، ذلك الجواب الذي أصبح يردد على ألسنة أهل العلم ، تلك المقولة التي أصبحت قاعدة من قواعد العقيدة الصحيحة ، عن جعفر بن عبد الله قال كنا عند مالك فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده، حتى علاه الرضاء (أي العرق) ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: كيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج.

وفي رواية : (الرحمن على العرش استوى) كما وصف نفسه، ولا يقال له كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه.

وكان موقفه من القدرية شديداً فيقول فيهم : رأيي فيهم أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا يعني القدرية .

وعن يونس الصدي حدثنا أشهب عن مالك قال القدرية لا تناكحوهم ولا تصلوا خلفهم .

وله أيضاً مع المرجئة بعض الواقف ، قال القاضي عياض قال معن: انصرف مالك يوماً فلحقه رجل يقال له أبو الجويرية متهم بالإرجاء، فقال: اسمع مني. قال أحذر ان أشهد عليك. قال: والله ما أريد إلا الحق، فإن كان صواباً فقل به، أو فتكلم. قال: فإن غلبتني. قال: اتبعني. قال: فإن غلبتك. قال: اتبعتك. قال: فإن جاء رجل فكلمنا فغلبنا. قال: اتبعناه. فقال مالك: يا هذا إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بدين واحد وأراك تنتقل.

هذا الموقف من الإمام مالك (رحمه الله) يدل على ذكائه وقوة حجته فإنه استطاع إن يلجم خصمه الحجة قبل أن يدخل معه في نقاش المسألة . كما يدل من جانب آخر على أن الإمام مالك لم يكن يتساهل بسماع كلام المبتدعة .

ومع هذا فقد كان (رحمه الله) يكره الجدل في الدين ، فقد روي عنه قوله : الجدل في الدين ينشئ المرء ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي ويورث الضغن .

وكان (رحمه الله) لا يغفل عن تقرير مسائل العقيدة على نهج أهل السنة والجماعة، وخاصة تلك المسائل التي كثر الخلاف فيها ، ففي مسألة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة يقول مال : الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم .

وقرر هذه المسألة مرة في جوابه لسائل قال له : يا ابا عبد الله، (وجوه يومئذ ناضرة) ينظرون إلى الله؟ قال: نعم، بأعينهم هاتين. قلت: فإن قوماً يقولون: ناضرة بمعنى منتظرة إلى الثواب. قال: بل تنظر إلى الله. أما سمعت قول موسى : (رب أرني انظر إليك) أراه سأل محالاً قال الله (لن تراني) في الدنيا لأنها دار فناء، فإذا صاروا إلى دار البقاء نظروا بما يبقى إلى ما يبقى، قال تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون)

وفي إثبات صفة العلو لله تلك الصفة التي خالف فيها من خالف من المبتدعة ، روى عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب الرد على الجهمية بسنده عن عبد الله بن نافع قال: قال: مالك الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء.

وأما في مسألة كلام الله سبحانه وتعالى فإن الإمام مالك (رحمه الله) يرد على من قال إن كلام الله مخلوق ، فعن ابن أبي أويس قال : سمعت مالكا يقول: القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق.

وروى ابن نافع عن مالك من قال القرآن مخلوق يجلد ويحبس . قال وفي رواية بشر بن بكر عن مالك قال يقتل ولا تقبل له توبة.

كذا في تعريف الإيمان الذي اختلف الناس فيه ، فمن قائل إنه التصديق بالقلب ، وقائل إنه التصديق بالقلب والقول باللسان ، ومن قائل إنه المعرفة ، أما الإمام مالك (رحمه الله) فيقرر فيما نقله عنه القاضي عياض وغيره : أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبعضه أفضل من بعض . وهذا هو القول الحق _ إن شاء الله تعالى _ وهو الذي عليه الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة .

وماذا يقول الإمام مالك (رحمه الله) فيمن سب النبي (صلى الله عليه وسلم) ؟ نستمع إلى رواية ابن وهب : قال قال مالك لا يستتاب من سب النبي صلى الله عليه وسلم من الكفار والمسلمين . نسأل الله أن ينفعنا بعلمه ، وأن يوفقنا لكل خير .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .